معرض الكتاب 2024.. دورة أدب المقاومة

محمود الشربيني

أمامنا فرصة عظيمة نساعد بها فلسطين – ومقاومتها الجسورة وصمودها البطل في قطاع غزة، من خلال معرض القاهرة الدولي للكتاب المقرر افتتاحه ٢٤ يناير المقبل. اسم الدورة– في تقديري– يرتبط بالمقاومة .. الروائي والقاص الفلسطيني غسان كنفاني وهو أحد اشهر كتابنا في القرن العشرين «عكا 9 أبريل 1936 – بيروت 8 يوليو 1972»، أبرز من كتب عن أدب المقاومة ، وأيضا الأدب الصهيوني . ولإشعال جذوة المقاومة في النفوس، أظن أن اقتران هذه الدورة باسمه سيكون له مغزاه .

معرض فرانكفورت الدولي للكتاب الذي يقام في المانيا وله سمعة عالمية – في زمن الراحل سمير سرحان نافسناه عليها – وقعت امور مخزية، فرئيسه أعلن في البداية انحياز معرض فرانكفورت إلى جانب العدو الصهيوني، وأدان المقاومة ووصفها بالإرهابية، دون ان يطرف له جفن بأن هناك أرضا محتلة من الصهاينة، وشعبا فلسطينيا اغتصبت ارضه وشرد وقتل وتشتت في مختلف الأنحاء.. ومازال تحت الاحتلال وفي الشتات منذ ٧٠ عاما إو يزيد .

لم يكتف معرض فرانكفورت بذلك، بل قام بإلغاء حفل تكريم الأديبة الفلسطينية عدنية شلبي ، التي كان مقررًا الاحتفال بروايتها «تفاصيل بسيطة» – التي ذاع صيتها وحققت اهتمامًا نقديًا عالميًا كبيرًا – وهو إجراء كان قمة في التعسف والعنصرية والانحياز الفج للإرهاب الصهيوني .

وقد أشارت أنباء إلى أن «معرض زايد» المقام مؤخرا، أعلن عن تكريم عدنية شلبي ردا على هذا الموقف .

الآن ونحن على مشارف انطلاق معرض القاهرة الدولي للكتاب، بكل تاريخه، وسمعة مبدعيه، وما تحتويه دور النشر المشاركة فيه ، من أعمال لمبدعين مصريين وعرب وغيرهم، وبكل مرتادية الذين يناهزون أربعة ملايين تقريبا، يمكننا أن نحوله إلى تظاهرة ثقافية يصل صوتها للعالم .

يمكننا – كما ذكرت – أن نُعْلي قيمة الأدب المقاوم باقرانه باسم المعرض، عبر الصاقها باسم غسان كنفاني، وإتاحة الفرصة أمامنا لاستضافة عدنية شلبي، فتكون لها ندوة خاصة في إطار المعرض، وأن تعقد ندوات خاصة يشرف على إعدادها نقاد ومبدعون مرموقون؛ منها ندوات عن الأدب المقاوم بكل عناصره ومجالاته ، قديمه وحديثه ، وأن يكون هناك حفل غنائي موسيقي مصري عربي فلسطيني مشترك للغناء المقاوم، تحييه من القاهرة الفنانة أميرة الغناء المقاوم عزة بلبع، وفرقة الجميزة «ناصر النوبي منصور وريم سويلم»، وفنان السمسمية الإسماعيلاوي محمد حجازي، والفرق التي ربما لاتزال تشدو على أرض السويس مثل «أولاد الارض» من محبي الكابتن غزالي، ولا أنسى هنا كورال القاهرة الغنائي ، وقيادة المايسترو سليم سحاب .

هناك مفكرون وكتاب مهمون تصدوا للعدو الصهيوني على مدار الفترة من ٧ أكتوبر حتى اليوم مثل نبيل عبد الفتاح، الذي تصدي للعدوان الهمجي الصهيوني من زاوية القانون الدولي، الذي سقط تماما في هذه الحرب، وعبد الله السناوي الذي اهتم بقضية الأمن القومي المصري، علي ضوء التهديدات بتهجير الفلسطينين من غزة إلى سيناء.. وعمار علي حسن ، والكاتب الكبير محمد سلماوي، الذي أفاض في حديث المقاطعة المصرية للبرانـدات والسلع العالمية، التي أعلنت الشركات المنتجه لها عن دعم الكيان الصهيوني . وهؤلاء الكتاب يجب أن تخصص لهم ندوات لطرح رؤاهم في المعرض، فى قاعات كبيرة، هذا إذا أردنا أن نستعيد للمعرض وللمبدعين المصريين والعرب، وللكتاب والصحفيين ألقهم ورونقهم.

« ينشر بالتزامن مع «الوفد» المصرية»

«طوفان الأقصى» أجبرت 15 دولة أوربية على دعم فلسطين.. الدلالات والمآلات

د. محمد عبد العزيز

لاشك في أن معركة طوفان الأقصى وما تسطره فيها غزة من ملاحم بطولية غيرت وجه المعادلة ومنحتنا ملامح مستقبل برائحة النصر والتحرير، أجبرت فيها المقاومة على تغيير نظرة العديد من دول العالم إلى أطر الصراع العربي الإسرائيلي برمته، ويتجلى هذا بعد شهرين من المعركة الطاحنة التي خلفت أكثر من 50 الف من الشهداء والمصابين والمفقودين، نستعرض في هذا المقال تغيرات مواقف الدول الأوروبية من فلسطين بعد هذه الفترة من الحرب – مداه ومقياسه وأسبابه ونتائجه وبعض مكاسب فلسطين جراء تلك التغيرات .

مقياس التغير

ابتداء لدينا مؤخرًا مؤشر مهم لا يمكن أن نغفله نستطيع أن نقيس به تغيرات الموقف الأوربي، وهو ما ذهبت اليه فلسطين مؤخرًا من مسعاها لترقية وضعها في الأمم المتحدة إلى دولة مراقب غير عضو، فكانت النتيجة حتي الآن 16 دولة مع و4 ضد وهو نصر كبير حتى الآن، حيث أعلنت كل من أميركا والمانيا فقط تحديها بوضوح لهذا المسعى ورفضها له البتة، في حين انبرت 16 دولة من الاتحاد الأوروبي بإعلان تأييدها ترقية وضع السلطة الفلسطينية في الأمم المتحدة من كيان إلى دولة مراقب غير عضو حال التصويت في الجمعية العامة، الأمر الذي من شأنه أن يسمح بإعادة إحياء تصور حل الدولتين في إطار مفاوضات السلام وسيفتح أيضا لفلسطين أبواب منتديات دولية عدة، لاسيما في مجال حماية حقوق الإنسان ومكافحة الإرهاب».

الدول التي أعلنت تأييدها بوضوح لهذا المطلب الفلسطيني هي (فرنسا وبريطانيا الدنمارك والنرويج وإسبانيا وسويسرا، وروسيا والصين والهند ومالطا ولوكسمبورغ والبرتغال وقبرص والنمسا وبلجيكا وايرلندا) . وكانت روسيا قد أعلنت على لسان بوتين مؤخرًا ثبات موقفها الداعم لفلسطين والمتمسك بقيام دولة فلسطينية مستقلة على حدود 1967، وتحقيق المصالح المشروعة للشعب الفلسطيني.

وبالعودة إلى الدولتين المتعجرفتين في هذا السياق أميركا وألمانيا فقد بقيتا الوحيدتين من الدول العظمى اللتين برهنتا برفضهما لأية ترقيات لفلسطين في الأمم المتحدة، أو غيرها من المنظمات، على دعمها للمحتل. وواصلت الدولتين تحديهما لحق الفلسطينيين في الدفاع عن أنفسهم من الاجرام الصهيوني المتوحش إضافة إلى أستراليا وليتوانيا التي أكدتا أنها ستمتنع عن التصويت حال طلبت فلسطين الانضمام للأمم المتحدة بأي صورة. أما الموقف البريطاني المتغير بشكل هامشي فرغم أنها أكدت دعمها لمسعى الفلسطينيين لترقية وضعهم في الأمم المتحدة، لكنها اشترطت ضمانات فيما يخص العودة إلى المفاوضات وامتناع الفلسطينيين من الذهاب إلى المحكمة الجنائية الدولية.

اللافت في هذا الملف ما أعلنته «الخارجية» الاسرائيلية خلال الفترة الماضية، من أن حكومتها مستعدة لاستئناف المفاوضات مع السلطة الفلسطينية في حال حصولها على صفة دولة غير عضو في الأمم المتحدة. وقد أكدت الأمم المتحدة بشكل «شبه جماعي» حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير، وذلك بعدما اعتمدت الجمعية العامة بأغلبية ساحقة مشروع قرار بعنوان «حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير» فصوتت لصالح القرار 173 دولة، بينما عارضته 6 دول أهمها أميركا و كندا وإسرائيل، فيما امتنعت 3 دول عن التصويت هي الكاميرون وهندوراس وجنوب السودان .

أسباب التغير

ويمكن التأكيد على أن دعم ما بين 15 إلى 20 دولة أوربية للحق الفلسطيني وموقفها المتغير بعد شهرين من العدوان، لم يكن حبًا مفاجئًا هبط من السماء، بل جاء لمصالح شخصية ورضوخا لقواعد شعبية ضاغطة من الرأي العام والحراك الشعبي في بلدانهم. ونضرب مثالا بأكابر مجرميها أميركا وبريطانيا. وكذلك ماكرون المتضامن بشدة مع المحتل والذي أجبرته الضغوط الشعبية « المتضامنة إنسانيًا مع الفلسطينين وما يتعرضون له من إجرام – على تغيير خطابه والمطالبة بعدم استهداف المدنيين.

وقد تفاعل البرلمان البريطاني مع فلسطين فطالب 56 من نوابه بوقف إطلاق النار في غزة، عكس رغبة حكومته، فاضطر ماكرون للمطالبة بهدنة إنسانية . وأميركا، بايدن المحاصر بضغط شعبي كبير، ووفقا لاستطلاع رأي «أسوشيتد برس « 40 % من الشعب الأميركي يرون أن الرد العسكري الإسرائيلي تجاوز الحدود وهي نسبة كبيرة لا يستهان بها ، بينما 44 % منهم يرون إسرائيل حليفا، ويدعم 36 % منهم تقديم مساعدة للجيش الإسرائيلي. وجاء الرأي العام الأميركي ليشكل أداة ضغط كبيرة على أميركا أجبرها على تغيير خطابها نسبيا، إذ طالبت بتجنيب المدنيين القصف والقتل، والمطالبة بإدخال المساعدات، وهو عكس خطابها المتعجرف في مستهل الحرب حالها حال نتنياهو.

صحيح أن ما نتناوله في هذا المقال حول تغيير في المواقف الأوربية ليس جوهريا، وجاء نتيجة نجاح طوفان الأقصى وصمود أهل غزة، ونتيجة اعلام المقاومة وحسن استخدام السوشيال ميديا، من خلال النشطاء الفلسطينيين والعرب والأجانب أصحاب البعد الإنساني والمهني العالي، الأمر الذي حرك الشعوب الغربية فتظاهر مئات الآلاف في عواصم غربية بشكل مذهل خاصة في أميركا (في نيويورك ميدان كولومبوس) وفي بلجيكا وباريس وألمانيا والنمسا والمجر وسويسرا ولندن، التي شهدت منطقة هايد بارك كورنر بوسطها هتافات أطلقت لأول مرة «فلسطين حرة حرة» و«وقف إطلاق النار الآن» ، و «من النهر إلى البحر فلسطين ستتحرر « حتى ايرلندا معاقل اليهود لم تخلو من التظاهرات الضاغطة على حكومتها لتغيير موقفها، فكانت المحصلة النهائية تلك التغيرات في المواقف الرسمية نتيجة لضغط التحركات الشعبية العارمة وغير المسبوقة نددت بالجرائم الإسرائيلية التي ارتكبت ضد الأطفال والنساء في قطاع غزة».

ولو بحثنا في أسباب ذلك التحول في الموقف الأوربي لوجدناها تتلخص في ما يلي :– انتهاكات غير مسبوقة ومشينة لحقوق الإنسان يمارسها المحتل في فلسطين، لاسيما في قطاع غزة – الدور الريادي لوسائل التواصل الاجتماعي في نقل صورة حقيقية لما يحدث على الأرض وكشف مدى الاضطهاد والقتل والتنكيل الذي يعاني منه الشعب الفلسطيني، الأمر الذي كشف كذب الروايات الصهيونية ومن ثم زيف الادعاءات الغربية – قصف المستشفيات ودور العبادة ، كل هذا وغيره من الأسباب عبد معه الأرض لتغير في موقف أكثر من 15 دولة أوربية متراجعة عن دعم الصهاينة استجابة لضغوطات شعبية أمنت بتلك الأسباب .

نتائج التغير

ومن النتائج المثمرة لطوفان الأقصى تهتك الجبهة الداخلية للمحتل ، فتناحر البيت الصهيوني واختلالات أعضاء برلمانه وأفراد مجتمعه وقيادات جيشه والحملة الشعواء ضد النتنياهو التي ستودي به لا محالة إلى نهاية محتومة كلها إيجابيات سيكون لها مآلاتها على انتصار الحق الفلسطيني قريبًا ، وأيضًا ما سيصاحب تغيرات الموقف الأوربي من الضغط على المحتل للمضي قدمًا نحو التسوية– خاصة بعد ضغوط شعبية إسرائيلية باتت تطالب بذلك–، والتخلي عن رهانات المحتل المتجاهلة في السنوات العشر الأخيرة لحق الشعب الفلسطيني في إقامة دولته العادلة ، سيعود مسار المفاوضات وبعزة غزة المنتصرة وليس بأملاءات نتنياهو المتغطرس، ستعود إلى الواجهة من جديد مسميات كانت قد نسيت مثل حل الدولتين الذي نسفته إسرائيل بمواصلة سياسات الاستيطان في الضفة الغربية المحتلة، بديلا منه.

ولا أرى النتائج المثمرة لتغير الموقف الأوربي وكل مكاسب طوفان الأقصى الذي غير وجه المعادلة، إلا أنه يشكل مرتكز يمكن البناء عليه في صالح عودة الحق الفلسطيني وإقامة دولته العادلة ذات السيادة التامة وعاصمتها القدس الشريف بحدود ما قبل عام 1967 ويعود الأقصى قبلة للمسلمين، ما يؤكد أن المقاومة قد حققت نصرًا غير مسبوق في الصراع العربي الإسرائيلي رغم كم التضحيات المتمثلة في خمسين الف شهيد ومصاب في ثمانية أسابيع .

حياتنا وثقافتنا في غزة أصبحت تحت الأنقاض

يحيى السراج
عمدة مدينة غزة

عندما كنت مراهقاً في الثمانينات، شاهدت بناءَ مركز رشاد الشوّا الثقافي ذا التصميم المعقّد في مدينة غزة، الذي سُمي على اسم أحد أعظم الشخصيات العامة في غزة، ومسرحه، وقاعته الكبرى، ومكتبته العامة، ومطبعته، وصالونه الثقافي.

جاء الطلاب والباحثون والعلماء والفنانون من جميع أنحاء قطاع غزة لزيارته، وكذلك فعل الرئيس بيل كلينتون عام 1998. كان المركز جوهرة مدينة غزة. وقد ألهمتني مشاهدة بنائه أن أصبح مهندساً، مما أسفر عن مسيرتي المهنية كأستاذ جامعي، ثم على غرار الشوا، عمدة لمدينة غزة.

الآن تحولت تلك الجوهرة إلى أنقاض. وقد دمّرها القصف الإسرائيلي.

ووفقاً لوزارة الصحة في غزة، تسبب الغزو الإسرائيلي في مقتل أكثر من 20 ألف شخص، ودمّر أو ألحق أضراراً بنصف المباني في القطاع. كما أن الإسرائيليين سحقوا شيئاً آخر في طريقهم: الثروات الثقافية والمؤسسات البلدية في مدينة غزة.

◆◆

إنّ التدمير الذي لا يتوقف لغزة –رموزها الرمزية، وواجهتها البحرية الجميلة، ومكتباتها، ومحفوظاتها، وأياً كان الازدهار الاقتصادي الذي حققته– قد حطم قلبي.

لقد دُمرت حديقة حيوانات غزة، وقُتل الكثير من حيواناتها، أو جاعت حتى الموت، بما في ذلك الذئاب، والضباع، والطيور، والثعالب النادرة. وتشمل الخسائر الأخرى المكتبة العامة الرئيسية في المدينة، ومركز سعادة الأطفال، ومبنى البلدية وأرشيفها، والمسجد العُمري الكبير الذي يعود إلى القرن السابع. كما دمرت القوات الإسرائيلية أو ألحقت أضراراً بالشوارع، والساحات، والمساجد، والكنائس، والحدائق العامة.

كان أحد أهدافي الرئيسية بعد أن عيّنتني إدارة «حماس» رئيساً لبلدية المدينة عام 2019 هو تحسين الواجهة البحرية للمدينة، وتشجيع فتح شركات صغيرة على طول الواجهة لخلق فرص العمل. واستغرق الأمر منّا 4 سنوات لإنهاء المشروع، الذي اشتمل على إنشاء الكورنيش، والأماكن الترفيهية، والمساحات المخصصة لهذه الشركات. ولم تستغرق إسرائيل سوى أسابيع لتدميرها.

نيفين، امرأة مطلّقة، كان من المفترض أن تفتتح مطعماً صغيراً في نوفمبر (تشرين الثاني) الماضي، لكنّ حلمها ضاع. وفقد محمد، وهو فلسطيني مُعاق، مقهاه الصغير.

لماذا دمّرت الدبابات الإسرائيلية الكثير من الأشجار وأعمدة الكهرباء والسيارات وخزانات المياه؟ لماذا تضرب إسرائيل مدرسة تابعة للأمم المتحدة؟ إن طمس أسلوب حياتنا في غزة لا يمكن وصفه. ما زلت أشعر بأني في كابوس، لأنني لا أستطيع أن أتخيل كيف يمكن لأي شخص عاقل أن يشارك في مثل هذه الحملة المروّعة من الدمار والموت.

تأسست بلدية غزة الحديثة عام 1893، وهي واحدة من أقدم البلديات في الشرق الأوسط. وكانت تخدم نحو 800 ألف مواطن، من بين أكبر تجمعات الفلسطينيين في العالم. وحتى بعد أن هجّرت إسرائيل أكثر من مليون فلسطيني قسراً من شمال غزة بعد بدء الحرب، بقي معظم السكان في المدينة.

عندما بدأت إسرائيل حربها على غزة رداً على الهجوم المميت الذي شنته «حماس»، كنت في الخارج. ثم قطعتُ جولتي لأعود لمساعدة أهلنا. وأترأس لجنة طوارئ مؤلّفة من عمال ومتطوعين في البلدية، كانوا يحاولون إصلاح أنابيب المياه وفتح الطرقات، وإزالة النفايات ومياه الصرف الصحي المسببة للأمراض. وقد توفي ما لا يقل عن 14 من موظفي البلدية. وفقد جميع أعضاء اللجنة تقريباً منازلهم أو أحد أقاربهم.

وأنا أيضاً فقدت شخصاً عزيزاً عليّ. ومن دون سابق إنذار، تعرض منزلي لضربة مباشرة في 22 أكتوبر (تشرين الأول)، أدت إلى مقتل ابني الأكبر رشدي، المصور الصحافي والمخرج السينمائي. كان يعتقد أنه سيكون أكثر أماناً في منزل والديه. جعلني ذلك أتساءل إن كان من الممكن أن أكون أنا المستهدف. لن نعرف أبداً. دفنت رشدي وسرعان ما عدت إلى العمل مع لجنة الطوارئ.

إنّ إسرائيل، التي بدأت حصارها لغزة منذ أكثر من 16 عاماً، وما زالت تحافظ على ما تسميه الأمم المتحدة وجماعات حقوق الإنسان احتلالاً مستمراً لمدة أطول بكثير، تدمّر الحياة هنا. ووعد مسؤول دفاعي إسرائيلي لم يذكر اسمه بتحويل غزة إلى مدينة من الخيام، كما أجبرت إسرائيل سكان غزة على النزوح. وفي هذه المرة النادرة، تفي إسرائيل بالوعد الذي قطعه مسؤولوها للفلسطينيين.

وإنني أدعو بلديات العالم –الجميع– إلى الضغط على قادة العالم لوقف هذا التدمير الطائش.

لماذا لا يمكن معاملة الفلسطينيين على قدم المساواة، مثل الإسرائيليين وجميع الشعوب الأخرى في العالم؟ لماذا لا نستطيع العيش في سلام ونتمتع بحدود مفتوحة وتجارة حرة؟ إن الفلسطينيين يستحقون أن يكونوا أحراراً وأن يكون لهم حق تقرير المصير. شعار غزة هو طائر العنقاء، الذي ينبعث من تحت الرماد. إنها تُصر على الحياة.

عن «الشرق الأوسط» اللندنية